في سبيل معجم تاريخيّ – محاولة في التأصيل

أ. د. إسماعيل أحمد عمايرة

المعجم التاريخي للغة مطلب حضاريّ، يتجاوز تحقيقه الوفاءَ بالجانب اللغويّ، إلى وفاءٍ بمتطلباتٍ كثيرةٍ تحتاج إليها علوم متعددة تشمل مناحي الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعيّة، في الماضي والحاضر على حدّ سواء.

ولذا كان المعجم التاريخي للغة مشروعاً يحتاج إلى تضافر المتخصصين على اختلاف تخصّصاتهم، كلّ يدلي بدلوه في ما يفي بحاجة تخصصه في هذا المشروع الهائل الذي يُعَدُّ سِفْر الأمّة الشامل، بل ثوبَها الذي اشتمل على جَسَد تجربتها منذ مدارج طفولتها، مروراً بكل طور من أطوارها.

وأحسب أن مشروع المعجم التاريخي يحتاج إلى دراسات كثيرة سابقة، يمكن أن تكون فردية أو مؤسسيّة، تعالج موضوعاتٍ جزئية، وتكون بذلك ممهّدة بعضَ جوانب الطريق أمام هذا المشروع المؤسسي الكبير.

وهذه الدراسة — حلقة في سلسلة دراسات سابقة أخرى — تناولتُ فيها جزئيات أحسب أنها مفيدة في سبيل المشروع المنتظر، وأذكر من هذه الدراسات:

-كتاب العدد، وهو دراسة تأصيلية مقارنة تناولت ألفاظ الأعداد العربيّة.

- ومعالم دارسة في الصرف، وهو تأصيل مقارن لبعض الظواهر الصرفيّة، وما اعترى كثيراً من صيغ العربيّة وأوزانها من زيادات كانت قياسيّة، ثم بطل القياس بها، مما أدّى إلى توهم الأصالة في ما كان زائداً.

– وخصائص العربيّة، وفيه تأصيل لبعض الظواهر الصرفية والتركيبية للعربيّة، وهي دراسة مقارنة تسعى إلى إظهار مدى التطور الذي جعل العربيّة تتميّز عن شقيقاتها.

– وظاهرة التأنيث بين العربيّة واللغات الساميّة، وهي دراسة تأصيلية مقارنة ترمي إلى تأصيل هذه الظاهرة الصرفيّة، في العربيّة وشقيقاتها.

– ونظرة مقارنة إلى المدرسة النحويّة العربيّة من خلال باب الشرط، وهي دراسة تأصيلية لباب الشرط.

– ونظرة مقارنة على بعض أدوات المعاني في ضوء اللغات الساميّة.

– ومقطع المضارعة بين العربيّة واللغات الساميّة، وهي دراسة صوتيّة مقارنة، تبحث ظاهرة التلتلة، أي كَسْر الصوت الأول من مقطع المضارعة، وعدم التلتلة أي فتح الصوت الأول من مقطع المضارعة.

– و«في التطور الصوتي للعربيّة»، وهي دراسة تأصيلية مقارنة لبعض الأصوات العربيّة وهي أصوات القلقلة، والأصوات الانفجارية.

– ومناهج التأصيل في التراث اللغوي، مَثَلٌ من كتاب المنصف (شرح التصريف لابن جني). وهي دراسة تأصيلية مقارنة تستدرك على ما فات النظرة المعياريّة التي اتسم بها القدماء.

– وظاهرة تكرار المعاني في المعجم العربي، وهي دراسة تأصيلية مقارنة لبعض الجذور المعجميّة.

– نمو الجذور اللغويّة، وهذا البحث نظرات تأصيلية في المادة المعجميّة.

– تأصيل الجذور اللغويّة — في سبيل معجم تاريخي. وهذا البحث يسير في مسار البحث السابق.

وأحسب أن البحوث الثلاثة الأخيرة من أكثر الدراسات السابقة التصاقاً بمادة هذا البحث الذي أتقدم به إلى مجمع اللغة العربيّة الموقر في دمشق، فهو استكمال لها، ونسج على منوالها، في عمل متواصل، يرجى به أن يستوعب أكبر قدر من المادة المعجميّة.

وتقوم فكرة البحوث الثلاثة على التتبع التاريخي لتلك المواد المعجميّة التي تلتقي، ولو في بعض معانيها المتعددة، وفي أصواتها أو بعضها التي يمكن التقريب بينها. فالمعنى — أي المضمون — والصوت — أي الشكل — ركيزتان أساسيتان لا يقوم بناء هذا النوع من البحث إلا بهما معاً، وأداتان مهمتان ينبغي أن يتم العمل بهما في إثبات أن المواد المتنوعة تعود تاريخياً إلى أصل واحد، ومادةٍ واحدة. ومع التطور التاريخي واختلاف المكان والزمان وضغط الحاجة لمواجهة أغراض التطوّر، أخذت اللغة تميل إلى توظيف الأشكال المتنوعة للنطق، التي أسفر عنها التطور. وقد ظل المعنى المشترك بينها أثراً من آثار التقائها في أصل واحد نطقاً ومعنى. وهنا يأتي دور المنهج المقارن في الكشف عن المعنى الأصلي المشترك، فما التقت عليه اللغات الشقيقات، مؤشر إلى أنه الأصل أو الآصلُ، أي الأقدم، من بين المعاني المتعددة التي تكون للمادة الواحدة. كما أن استعمال القوانين الصوتية التي تحكم الظواهر المشتركة بين اللغات الشقيقات قد يُسعف في معرفة ذلك الأصل الذي كانت عليه المادة. ونمثل لذلك بمثَلٍ يسير، فإن كانت كلمة عربيّة تنطق بالسين وبالشين فإن في مقدورنا أن نرجح أصالة السين، إذا كانت مقابلتها العبريّة والآرامية بالشين، وإن كانت كلمة في العربية تنطق بالضاد وبالصاد، فإن مقابلها في العبريّة يُتوقع أن يكون صاداً ومقابلها الآرامي عيناً، وفي هذا ما يرجح أصالة الضاد لا الصاد.

فالتقاء مادتين أو أكثر، في الشكل الصوتي والمضمون، مؤشّر قوي على التقائها في أصل واحد، وأما افتراق المادتين أو المواد في بعض المعاني افتراقاً بائناً مع ما يجمع بينها من جانب آخر – شكلاً صوتياً ومضموناً – فمرده إلى احتمال من احتمالين:

احتمال أن تكون كل مادة، بعد استقلالها عن الأخرى، قد اكتسبت في مسيرتها الخاصة، معاني خاصة لم تكتسبها المادة الثانية، وتكون المادة الثانية، قد اكتسبت هي الأخرى، معانيَ خاصة بها. وبهذا تكون كل مادة قد بدأت تبتعد عن الأخرى في مسيرتها الخاصة، وتكتسب لنفسها معاني مستقلة. وأمثلة ذلك كثيرة كما في رصّ، ورضّ، ورسّ، ورسا، ورصا، ورصف ورضف. وأما الاحتمال الثاني، فأن تكون المادة الأصلية ذات معنى يبتعد أصلاً عن مادة أخرى، هي أصلية أيضاً في دلالتها على معناها المغاير. ولكن إحدى المادتين حين انحرف النطق ببعض أصواتها، صادفت بذلك الانحراف قُرباً من المادة الأخرى، أو تماثلاً في النطق معها، وبذا يكون الشكل الواحد للنطق بالمادتين المتباينتين أصلاً، قد أدى إلى أن يعالج اللغويون المعنيين الأصليين للمادتين المتباينتين تحت مادة واحدة، مادام نطقهما قد توحّد، ومن أمثلة ذلك ترز وزمر، وطبن وتبن.

وأحسب أن الباحث بشيء من الرفق، يمكن أن يلمس ذلك القدر الجامع، والخيط الرفيع من الشبه، بين المعنى الأصيل للمادة الأصليّة، وما تفرع عنه من معانٍ اكتسبتها الأشكال النطقية المتعددة التي انحرفت عن الشكل النطقي الأصيل. فإن أعياه الأمر، كان من حقه أن يميل إلى أن المعاني التي لا يسهل ردّ بعضها إلى بعض، تعود إلى أنها من أثر دخول مادة تختلف أصلاً في

نطقها عن المادة الأخرى، وتلتقي عرضاً بها، من أثر الانحراف اللهجي، أو لأي سبب من أسباب التطور، الذي أدى إلى اختلاف النطق.

لاشك في أن جهود المعجم التراثي ثرّة في توفير أسباب النظر التاريخي الذي يستهدف ملاحظة التطور، وأثرَه على الظواهر اللغويّة. بيد أن المعجم التراثي لم يكن تاريخياً يسعى إلى رصد التطوّر وأسبابه، وإنما هو معياري يبتغي رصد اللغة في زمن معين، وبيئات لغويّة محددة. هذه الثروة الضخمة من المادة المعياريّة، بما تتضمنه أحياناً من إشارات تاريخيّة، يمكن أن تساعد في إعادة تنظيمها تنظيماً تاريخياً تطورياً.فكثيراً ما أشار المعجم التراثي إلى أن المعنى الحسي يمكن أن يكون أصلاً للمعنى المعنوي، فالكُفْر بمعنى الغطاء أسبق من الكفر الذي هو ضد الإيمان، والمَلَقَة بمعنى الصخرة الناعمة القاسية أسبق مما تطور عن ذلك من مفهوم التملّق والرياء.

وأحسب أن الجهود المعجميّة لكل من اللغات شقيقات العربيّة: كالأكادية والآراميّة والعبريّة والحبشيّة والسبئيّة وغيرها، قد هيأت الفرصة للنظرة المقارنة التي هي من أهم مستلزمات التأصيل اللغوي التاريخي، وبخاصة أن النصوص العربيّة القديمة التي وصلت إلينا تعدّ حديثة نسبياً، إذا ما قورنت بالعمق الزمني للنصوص التي وصلت إلينا من أخواتها، فالنصوص الأكاديّة يعود بعضها إلى ٢٤٥٠ ق. م والأوغاريتيّة إلى نحو ١٣٠٠ ق. م.

لقد سعت هذه الدراسات إلى الوصول إلى قناعة مؤدّاها أن كثيراً من هذه الألفاظ تعود إلى أصل واحد، وقد أدت رحلة التطوّر إلى تفاقم الاختلاف بينها لفظاً ومعنى. أما تباينها اللفظي فقد كان متفاوتاً، إذ كان واسعاً في بعضها، طفيفاً في آخر. وكذلك كان تباينها في المعنى. لكن في وسع

المرء أن يلتمس التعليلات اللازمة للرجوع بالمواد المتباينة إلى المبنى الأول الذي صدرت عنه. وكثيراً ما كان اختلاف البنى عائداً إلى أسباب صوتية كالتقارب الصوتي في: جأر وجعر، وتبر وثبر، وأبن وأبل، وكيأ وكيع وكأكأ وكعكع، وسكّ وشك، وتوب وثوب وثيب، وسبك وسفك، وأبن وعبن، وأبل وعبل، وسحّ وشحّ.

ومن الأسباب الصوتية فك الإدغام كما في فقّع وفرقع وقنفع، وخرّب وخرنب، وخزّر وخنزر وفسّح وفرسح، وذعّط وذعمط.

ومنها القلب المكاني الذي أصبحت فيه فرقع: قرفع، وفنقع: قنفع، وصعق وصقع، وزعق وعزق، وفصل وفلص.

ومنها الأقيسة المهجورة الذي ترتب عليها عدّ بعض الأحرف الزائدة أحرفاً أصليّة كما في نبس، وسنبس، وثكل وعثكل ورقش وبرقش.

وكان لتباين اللهجات بين القبائل المتباعدة مكاناً وزماناً، أثر في تباين الألفاظ، فقد أدى تداخل المشتقات إلى اختلاف أصولها كما في عين ومعن، وكما في برأ وبرى وورى، ولأم ولوم وليم، وثنن ومثن.

وقد أدى التباين اللفظي مع مرور الزمان إلى تباين في المعنى، إذ وظّفته اللغة وخصصته، وقد أخذت اللغة تتعامل مع كل شكل من أشكال التباين كما لو كان مادة مستقلة، إذ أكسبته معنى أو معاني واستعمالات جديدة، بيد أن المعنى القديم الذي كان للأصل الأول، ظلّ يسري – في الغالب – في كثير من تلك المواد المتباينة، وظلت تحمله الأشكال المتطورة في صورتها المستقلة، بما ينبئ أنها كانت تعود إليه قبل استقلالها.

وقد تُستخدم المادة الواحدة ابتداء بمعنيين متباينين، كدلالة مادة صفر على اللون، وعلى الصوت، وقد شقت المادة الواحدة طريقها للتعبير عن المعنيين المتباينين أصلاً.

وقد عادت بعض المواد إلى أصول ثنائية، ثم اتسعت فأصبحت ذات أصول ثلاثية، نحو: فص وفصل، وفلّ وفلن.

كما أدى تباين اللهجات إلى عد العين في عصفور وعربيد أصليّة، وواقع الحال أنها من صفر وربد، ثم صيغت على وزن أفعول أو إفعيل، ثم قلبت الهمزة عيناً، على لهجة من يبدلون الهمزة عيناً. ومن ذلك أثكول التي أصبحت عثكول.

لقد أسعفت المقارنات اللغويّة في الوقوف على المعاني الأول، كما أسعفت في الوقوف على المباني الأول لكثير من الأشكال المتطورة عنها في سبيل أن تُنار المسيرة التاريخيّة لنشأة بعض مواد المعجم، وبقصد أن يُفسّر التقارب بين الألفاظ والمعاني في مواد معجميّة كثيرة. وعلى أن الأدلة في البحث التاريخي بعامة، تظل تتأرجح بين القوة والضعف في وضوحها وإقناعها، غير أنها تفتح الباب للنقاش الذي يجلي الأمور فيصل إلى الحقيقة أو يدانيها. فقد أسعفت جهود مماثلة أمماً غيرنا في تحقيق أحلامهم في معجم تاريخي، فعسى أن يكون هذا الجهد وجهود أخرى بُذلت أو ستُبذل، محطات على هذه الطريق، ونحو هذا الهدف.

تبر — ثبر

يُحس المرء ببُعدٍ بيّن بين بعض المعاني التي وردت تحت مادة تبر، فالتِّبر: الذهب. وقد يطلق على الفضة والزجاج والنحاس، وغير ذلك مما سماه ابن منظور جواهر الأرض. والتَّبار الهلاك والتدمير، وكل مكسَّر تِبْر. وقد يكون

الجامع بين المعنيين أن التبر يطلق على الفتات من الذهب والفضة قبل أن يُصاغا. فإذا صيغا فهما ذهب وفضة، فإذا ضُرب أيّ منهما دنانير فهو عَين. وعلى هذا فالتتبير للذهب وهو فتات.

ويبدو أن الفتات من غير هذه المعادن والجواهر قد أطلق عليه اسم يعود إلى مادة تبر. فالنخالة (القشرة) التي تكون في أصول الشَّعر تدعى: تِبْرية، وعلى هذا يكون التفتيت والتكسير والتحطيم، ومن ثم الهلاك، هي المعاني الأصلية لمادة تبر.

وقد التقت مادة تبر وثبر في الدلالة على الهلاك. فالمثبور: الهالك، والثُّبور: الهلاك. والثَّبْرة نوع من التراب. فهل تعود مادة ثبر وتبر إلى أصل واحد، وهو التفتيت والتكسير؟ وتبادل التاء والثاء ظاهرة معروفة.

أما المادة التي قابلت هاتين المادتين في بعض شقيقات العربيّة، فهي في العبريّة مادة שבר ، ومن ذلك שבר šābar وتعنى كسّر وحطّم و נשבר nešbar انكسر وتحطم وتفتّت، و שבר šeber الشظية، والكسرة، والبليّة[1]. وفي الآرامية بالتاء תבר وهي كذلك في السريانية[2]، tabar كَسَر و tbirutā كَسّر، و tēbrā جزء، و tbārā مصيبة، تَبار، خراب. وغني عن القول أن التاء والثاء كل منهما تلوين صوتي (ألفوني) للأخرى[3]. ولا فرق بينها في المعنى في كل من الآراميّة والسريانية والعبريّة.

---

(١) انظر ٨٠٤ Gesenius، ٤٠٦ Fürst II وربحي كمال (المعجم الحديث) ص ٤٦٣ — ٤٦٤.

(٢) ٣٨٧ Costaz.

(٣) انظر ضوابط هذا التلوين الصوتي في بحث: ظاهرة بجد كفت بين العربية واللغات الساميّة، لدى عمايرة: (بحوث في الاستشراق واللغة) ص ١٧١- ١٩٤.

وأما العربيّة الجنوبية (السبئية)[٤]، فقد استخدمت فيها مادة ثبر بمعنى خرّب وفي الحبشيّة[٥] sabara، yasbar يكسّر، يُتبّر، وفي الأكاديّة[٦] seberu من شبر، بالشين وهي بمعنى كسّر، وتبّر.

والمعلوم أن هذه الأصوات الشين والسين والتاء والثاء تتبادل في أسرة اللغات التي تنتمي إليها العربيّة. ولذا فإن التقاء جميع هذه المواد مسوّغ لفظاً ومعنى. أما ما بينها من اختلافات فمرده واحد من اثنين:

– تطورها عبر رحلة الزمان والمكان، واكتسابها في كل تطور من تطوراتها في مسيرته الخاصة، معاني خاصة به. وهذا ما يمكن استيعابه بلمس ذلك الخيط الرابط بين المعاني المتقاربة في المواد كلها.

– مصادفة هذه المواد مواد أصلية مستقلة عنها صوتاً ومعنى. وعندئذٍ يكون الفرق بين صوت وصوت فرقاً معنوياً أصيلاً (فونيميّاً)، ثم تكون المادة الأصليّة، قد أضيف إليها عبء معانٍ أخرى ليست لها. ويكون الالتقاء بين المادتين التقاء عارضًا.

ذعط – ذعمط – سحط

جاء في مادة ذعط أن ذَعَطْتُه وسَحَطْته تعنيان: ذَبَحْته. ويقال الذعمطة – بزيادة الميم – بمعنى الذبح. وقد أفرد كل من ذعط وسحط وذعمط بمادة مستقلة في المعجم. وعلى هذا تكون الحاء قد تبادلت مع العين. وهما صوتان حلقيان يقع التبادل اللهجي بينهما. وقد جاء في شحط معنى الذبح، فَشَحطه

(٤) انظر ١٤٩ Beeston.

(٥) انظر ٤٨٥ Leslau.

(٦) انظر ١٢٠٦ Von Soden III.

وسَحَطه: ذبحه. والتبادل بين صوتي: السين والشين معروف في العربية وأخواتها. وقد تتبادل الذال والسين عبر السين. كما هي الحال في مِسْلَفة (آلة تسوى بها الأرض) و mazlef في العبرية، وهي المسلفة، وكما هي الحال في: زلف في الكلام إذا زاد، ويقابلها في العبرية sellēf بالمعنى نفسه[٧].

وقد تقابلت المادتان: سحط العربية وشحط العبرية[٨]، ومنها šāhut بمعنى ذبيح ومسلول، و yišhēt يذبح. وقد جاءت هذه المادة بالشين في الأكادية[٩] ومنها sahatum أي الذبح. وأحسب أن السخط في العربية، وهو الغضب القاتل في مقابل šahātum في الأكادية.

ثكل – عثكل

جاء في اللسان أن الأُثكول لغة في العُثكول[١٠]، وهو العِذق، كعرجون النخلة. وأصل المعنى من القطف لكل ما هو معلق أو معقود أو مجدول. ولذا قيل العثكول: «ما علق من عِهْن أو صوف أو زينة فتذبذب في الهواء»[١١]. وقد ورد مفهوم القطف والانعقاد والتعليق في معاني هذه المادة في العبرية، التي قابلت فيها الثاء الشين، ومن ذلك שׁכל šākal. وقد دلّت أثكول

(٧) انظر ربحي كمال (المعجم الحديث) ص٢١، ٢٣.

(٨) انظر ربحي كمال (المعجم الحديث) ٤٧١، وانظر ٨١٨ Gesenius).

(٩) انظر ١١٣١ Von Soden III.

(١٠) انظر ابن منظور (اللسان: ثكل) ١١/ ٨٩.

(١١) انظر ابن منظور (اللسان: عثكل) ١١/ ٤٢٥.

في اللغتين: العربيّة والعبريّة(١٢) على ما يقطف. ولذا سُمّي عنقود العنب: القِطْف(١٣) وهو في العبرية אֶשְׁכֹּל eškol.

وأحسب أن انتقال ثكل إلى معنى الموت، جاء من أن الموت شُبّه بقطْف الحياة. فالأم التي ثكلت ولدها كالنخلة قُطف عُرجونها، أو الكَرْم التي قطف عنقودها. وعلى هذا يكون المعنى الأصلي لثكل ليس هو الموت، وإنما هو القطف، ويكون المعنى الأصلي للعثكول: الذي يُعَلّق فيقطف.

ثجج – سحح – شحح

تعني ثجّ تدفق بغزارة، يقال هذا للماء والدم وكل سائل. وقد يستعار للخطيب، فيقال: خطيب مِثَجّ، أي يصبّ الكلام صبّاً، وهي معان وردت في مادة سحّ. ومن مجازات سَحّ أن قيل: جواد سَحّ، أي سريع يصب الجري صَبّاً. وأما شَحّ فتدفق بدرجة أقل، ومنه جاء البُخْل مجازاً. وقيل أرض شَحاح «تسيل من أدنى مطرة كأنها تَشِحّ على الماء بنفسها. إلا أن شحّ التقت مع سحّ وثجّ في بعض استعمالاتها، فالخطيب الشَّحْشَح: الماهر خُطبته الماضي فيها. ومن ذلك قيل: غراب شَحْشَح كثير التصويت، والشَّحْشَحة: الطيران السريع. وقد وصف الحمار خفيف الحركة بمادتي السين والشين، فقيل: حمار سَحْسَح وشَحْشَح(١٤).

وقد قابل هذه المواد العربيّة שׁחח sāhāh بالسين والحاء في العبريّة والآراميّة סחא والسريانية وهي بمعنى تدفق وصب(١٥).

---

(١٢) انظر Fürst II ٤٤٤.

(١٣) انظر ابن منظور (اللسان: قطف) ٩/ ٢٨٥.

(١٤) ابن منظور (اللسان: شحشح) ٢/ ٤٩٧.

(١٥) انظر Fürst II ٤٣١.

سحف — سحفن — شحف — سخف

جاء في مادة شحف أن الشَّحْف: قَشْر الجلْد، وأنها لهجة يمانية[١٦]، وفي مادة سحف أن السَّحْف كشْطك الشعر عن الجلد حتى لا يبقى منه شيء، وسَحَفَ الشيء قشره، وسَحَفْتُ الشحم عن ظهر الشاة سَحْفاً إذا قشرته، وما قشرته فهو السَّحيفة، أي القطعة الرقيقة من الشحم، وجمعها سِحاف. وأرض مَسْحَفَة: رقيقة الكلأ، والسَّحوف من الغنم: رقيقة صوف البطن. والرجل المسحوف: المسلول لرقته، ويقال السحيف للسهام والنصال. وعلى هذا فإن سَحف دلّت على رقة الشيء. وقد تزاد النون إلى سحف فيقال: رجُل سُحَفْنية أي محلوق الرأس.

وقد التقت سحف وسخف في الدلالة على الرقة. فالسّخافة رقة السحاب والسِّقاء والثوب، ورقة العقل. وأرض مسخفة: قليلة الكلأ. وهي المعاني التي مرت في سحف.

فلا يخفى أن هذه المواد: سخف وسحف وشحف لا تحتاج إلى كبير عناء في تقريب أصواتها: الخاء والحاء، ثم السين والشين.

وأما المادة العبريّة[١٧] المقابلة فهي بالشين שחף šahaf، وهي تحمل المعاني نفسها. ولعلّ في هذا ما يؤكد أصالة السين العربيّة، إذ اعتدنا أن نجد المواد العربيّة ذات السين، تقابلها في العبريّة الشين.

ترز — ترمز — رمش — زمر — زنر — زبر

يبدو أن الأصل في معنى تَرَزَ أو ترِزَ (بكسر الراء وفتحها): يَبس، وصَلُبَ ومنه: أترزت المرأة العجين إذا أيبسته، وأترز الجريُ لحم الدّابة: صلّبه.

---

(١٦) انظر ابن منظور (اللسان: شحف) ٩/ ١٦٨.

(١٧) انظر Fürst II ٤٣٣.

وقد اقترن اليَبَس بالموت. قال ابن منظور: سُمّي الميّت تارزاً لأنه يابس. والتمرة التارزة: اليابسة. وماء تارز: جامد.

وقد جاء هذا المفهوم في بعض اللغات شقيقات العربيّة، ففي العبريةّ תרשׁ tāraš بالشين، وفي الآراميّة תרץ teras بالصاد، وكذلك بالسريانية بالصاد(١٨). وقد جاءت תרץ tāraz بالزاي، في العبريّة دالة على الصلابة كذلك(١٩).

وأحسب أن الميم في تَرْمز قد جاءت من باب فك الإدغام في ترّز. وقد أشار المعجم إلى أنها تدلّ على الشِّدة. وهي بهذا المعنى تعود إلى مادة ترز. ومن ذلك أن البعير التُّرامز: القويّ الشديد(٢٠).

بَيْدَ أن مادة ترمز قد تضمنت معنى آخر، وهو من أثر التقائها بمادة أخرى، وهي رمز، إذ تدل كل من رمز وترمز على الحركة: فالتُّرامز من الإبل: «الذي إذا مَضَغَ رأيت دماغه يرتفع ويَسْفُل» وارتمز رأسه إذا تحرك. من رمز جاء الرَّمز أي التحريك، كتحريك الشفتين، أو العينين. وقيل للبحر: الرّاموز لحركته. والكتيبة الرّمازة التي تموج وتضطرب لكثرة حركتها.

وقد دلت مادة رمس بالسين على الحركة في العبريّة(٢١) רמשׂ rāmas، وبذا تكون قد التقت رمس العبريّة برمز ورمش العربيتين. وعلى هذا فإن رمز وترز قد تركت كل منهما بعض معانيها في مادة ترمز. وأحسب أن أبا بكر ابن

---

(١٨) انظر Fürst II ٥٤٤، ٥٤٦.

(١٩) انظر Fürst II ٥٤٤.

(٢٠) انظر ابن منظور (اللسان: ترمز) ٥/ ٣١٥.

(٢١) انظر Fürst II ٣٧٤.

السّراج[٢٢] قد أصاب وأخطأ في آن واحد، إذ حكم بأن التاء في ترمز زائدة. فهو مصيب في عدّها زائدة في تلك المعاني التي تلتقي فيها ترمز ب: رمز.

وبذا يكون قد أخطأ في عدّ التاء أصليّة في تلك المعاني التي تلتقي فيها ترمز ب: ترز.

وقد أشار القدماء إلى التقاء مادة رمز ب: زمر. فالزَّمارة والرّمازة: الزانية. وسواء أكان سبب تسميتها بذلك يعود إلى أنها تغني، أو أنها تومئ بشفتيها وبعينيها وحاجبيها، أي تحركهما وهذا هو معنى رمز، وهو معنى متحصّل في زمر، وهو ما تعنيه من اهتزاز الصوت في القصبة. وقد قيل زَمَرت النعامة تَزْمِر زماراً إذا صوتت. وقد تبادلت الميم والنون فقيل: زَنْراً وزمراً[٢٣].

واكتسبت مادة زمر ما دلّ على الجمال، فالزَّمير: الغلام الجميل والغناء الزَّمير: الحَسَن. كما اكتسبت معنى الجماعة.

وقد أشير في تفسير الزُّمرة بمعنى الفوج إلى ما يربط هذا المفهوم بالصوت، فجاؤوا زُمَراً أي «جماعات، في تفرقة، بعضها إثر بعض، مأخوذة من الزَّمْر الذي هو الصوت، إذ الجماعة لا تخلو عنه»[٢٤].

وأحسب أن زبر وزمر قد التقتا في الدلالة على القصبة والخوصة وما يُتغنّى به. ومن ذلك: المزامير، إذ مزامير داود ما كان يُتغنى به من الزّبور. ولا أحسب أن أصل التقائهما يعود إلى الصوت، والغناء، وإنما يعود إلى الحركة والتموّج. وهو من مواصفات تحسين الصوت. وقد أُطلق هذا المفهوم على القَلَم، لأنه أداة الحركة في تحقيق الكتابة. وعلى الزّمارة، وهي القصبة التي يُزمّر

(٢٢) انظر رأيه لدى الزبيدي (التاج: ترمز) ١٥/ ٤٥.

(٢٣) انظر الزبيدي (التاج: زمر) ١١/ ٤٤٢.

(٢٤) انظر الزبيدي (التاج: زمر) ١١/ ٢٤٤.

بها. وقد دلّت زبر على الكتابة — انتقالاً من القلم فيما يبدو — وتبادلت الزاي مع الذال، فالذّبر والزبر: الكتابة. كما دلّت على القراءة — بما تحمله القراءة المرتلة من حاجة إلى التغني واستعمال آلة التزمير، كما دلت مادة ذبر على الكتاب، في الحميريّة، بما تحمله الكتابة من مدلول على العسيب (خوص النّخل) الذي قد يصلح ورقاً يُكتب عليه، وقَلماً يكتب به(٢٥). والزبور: الكتاب المسطور(٢٦).

ولا أستبعد أن تكون الذَّمْر (من ذمر) أي زئير الأسد، على علاقة بزمر، التي دلّت على صوت النعام، ثم وُظّف التنويع الصوتي ليترتب عليه مفارقة في المعنى. غير أن مبدأ التصويت ظل مقداراً جامعاً بين المادتين.

رص—رض—رصف—رضف—رس—رسا—رصا—رصع —عرص—رصن—رزن

جاء في مادة رصص: رصصت الشيء أرصه رصا: ألصقت بعضه ببعض، ومنه البنيان المرصوص، والحجارة المرصوصة.

وجاء في مادة رضّ أن الرضراض. الأرض المرضوضة بالحجارة، والرَّضراض: الحصى الصِّغار، والمِرَضّة الأداة التي يُرَض بها، أي يُدَق بها.

وقد رويت بعض النصوص بالصاد والضاد، فقيل:

يَلُتُّ الحَصَى لَتّاً بِسُمْرٍ، كأنّها   حجارةُ رَضْراضٍ بِغَيْلٍ مُطَحْلِب

فقد رويت رَضْراض ورَصْراص.

وقد ورد في مقابل هاتين المادتين في العبريّة רצץ أي رضّ أو رصّ، بالصاد.

---

(٢٥) انظر الزبيدي (التاج: ذبر) ١١/ ٣٦١.

(٢٦) انظر الزبيدي (التاج: زبر) ١١/ ٣٩٨.

والصاد العبريّة قد يقابلها في العربيّة الضاد أو الصاد، وأما الآراميّة ففيها العين مقابل الضاد العربيّة، ولذا كانت المادة المقابلة في الآراميّة רצע، والسريانية . ويبدو أن الضاد العربيّة أصل، إذ قابلتها العين في الآراميّة والسريانيّة، والصاد في العبريّة.

ومن رصّ ورضّ جاءت رصف ورضف، فالمِرْضافة والمِرْصافة: هي المِرَضَّةَ، أو المطرقة التي ترصف بها الحجارة، فيُضم بعضها إلى بعض وتُثبّت. والرّصف: الحجارة المتراصفة المثبّتة بضم بعضها إلى بعض. والرّضف: الحجارة التي رُصِف بعضها إلى بعض وقد أُحْميت. والتراصُف تنضيد الحجارة وشد بعضها إلى بعض.

وقد جاءت مادة رصف في العبريّة، ومنها רצף rāsef بالصاد والفاء وفي السريانية ra fā، وتعني فيهما حجارة الرصف[٢٧] وفي العبرية רצוף rāsūf تعني مرصوف[٢٨]. وقد جاءت צלר بالصاد في الآراميّة، وكذلك في السريانية ، وفي الأكاديّة rasāpu بمعنى، رصيف ورَصْف[٢٩].

وقد التقت المواد السابقة في معنى التثبيت، برصّ الشيء إلى الشيء. والتقت في ذلك بكل من رسّ ورسا، «فالرسّ والرُّسُوّ بمعنى واحد»[٣٠]، ومن ذلك مرساة السفينة. وجاء في مادة رسس أن الرَّسيس: الشيء الثابت الذي

---

(٢٧) انظر Gesenius ٧٧٣.

(٢٨) انظر ربحي كمال (المعجم الحديث) ص ٤٥٦.

(٢٩) انظر Von Soden II ٩٥٩, Gesenius ٧٧٢.

(٣٠) ابن منظور (اللسان: رسا) ١٤/ ٣٢٢.

قد لزم مكانه. ورسّ الهوى قلبه إذا دخل وثبت. والرَّسْرَسة هي الرَّصْرَصة، وهي التثبيت والإحكام والتمكّن. ورُسِّسَتْ ورُصِّصَتْ أي أُثْبِتَتْ[٣١].

وجاء في مادة رصص أنّ البنيان المرصوص: المحكم، وتراص القوم: تصافّوا في القتال والصلاة. ورصرص إذا ثبت في المكان. وجاء في مادة رصص: الرَّصاصة والرَّضاضة الحجارة اللازمة لما حوالي العين الجارية، أي التي أُحكم تثبيتها[٣٢]، وجاء في مادة رصا أن رصاه: أحكمه[٣٣].

وعلى هذا فإن هذه المواد رس ورسرس ورص ورصرص ورسا ورصا، ورض، دلّت على التثبيت والإحكام. وقد أخذت تتنوع وتتلون معانيها بألوان من التوظيف الذي أصبحت تتمايز بموجبه وتكتسب أهليتها للاستقلال من خلال تباين وظائفها ومعانيها المتباينة.

ويبدو أن مادة رضّ قد اتسعت كذلك بالحاء وبالخاء، وهما صوتان يتبادلان لقربهما في المخرج، فقيل رضح رأسه ورضخ رأسه، ويقابلهما في العبريّة بمعنى حطم وكسر[٣٤]. كما أن ר ל ד ק rāsūs في العبريّة من ר צ ק بمعنى مُكَسّر.

وإذا كانت مادة رصّ قد عنت فيما عنت الرصف والتثبيت وضم الشيء بعضه إلى بعض، فإن رصع تعني ضمّ بعض الشيء إلى بعض، وقد

---

(٣١) ابن منظور (اللسان: رسس) ٦/ ٩٨.

(٣٢) ابن منظور (اللسان: رصص) ٧/ ٤١.

(٣٣) ابن منظور (اللسان: رصا) ١٤/ ٣٢٣.

(٣٤) انظر Gesenuis ٧٧٢.

نَحَتْ رصع منحى التجميل كترصيع الجواهر أي تثبيتها بعضاً إلى بعض. ثم قُلبت رصع في العربيّة. قال ابن منظور: التَّرَصُّع مِثْل التعرُّص[٣٥].

وقد جاءت مادة رصن في العربيّة دالّة على الثبوت والرصانة. وقابلتها في العبريّة רצ~צָת بمعنى الرّصانة[٣٦]. وقد جاءت كذلك رزن دالّة في العربيّة على الرصانة. وتبادل الصاد والزاي معروف. وفي العبريّة רלז دلت على القوة والتماسك. ويقابلها في الأكادية russunu بالمعنى نفسه[٣٧].

طبن — تبن

مادتا طبن وتبن يبدو أنهما متباينتان أصلاً في المعنى. فالتبن: القش المهروس. والطبن: الفطنة. غير أنهما تداخلتا عرضاً عن طريق التبادل الصوتي. فالتِّبانة والطِّبانة شدة الفطنة، فهي أصلاً من طبن. وقد حدث التداخل من أثر انقلاب الطاء تاء[٣٨]. وأما في العبرية فقد جاءت المادة الدالة على الفطنة فيها بالتاء תכז tāban فطنة.

وثمة تداخل آخر جاء من أثر انقلاب معكوس، وهو انقلاب التاء طاءً. فالطِّبن: ما جاء به الريح من الحطب والقَمْش. ومن هنا جاءت تسمية الطابون الذي يخبز فيه الفلاحون، فهو من طبن، والطابون مكان تدفن فيه

(٣٥) ابن منظور (اللسان: رصع) ٨/ ١٢٥. [جاء في اللسان:والترّصع: النشاط، مثل التعرص/ المجلة].

(٣٦) انظر Gesenuis ٧٥٣.

(٣٧) انظر Gesenuis ٧٥٣.

(٣٨) انظر ابن منظور (اللسان: طبن) ١٣/ ٢٦٣.

النار المشتعلة بالحطب (الطِّبن) كي لا تطفأ. وعلى هذا تكون التِّبن قد التقت مع الطبن. وقد جاءت التبن في العبريّة[٣٩] بالتاء תבן teben.

صمر – شمر

جاء في مادة صمر: «رجل صَمير: يابس اللحم على العظام»[٤٠]. ومن هذا جاء مفهوم البخل. فالصُّمور: البخل والمنع. وقد اقترن يبس اللحم على العظام، بصدور رائحة العَرَق. قال ابن منظور عن ابن دريد: «رجل صمير: يابس اللحم على العظم، تفوح منه رائحة العَرَق»[٤١]، ففوح رائحة العرق ليس هو المعنى الأصلي. وإنما هو معنى عارض، إذ المعنى الأصلي هو الضمور والانكماش.

وقد التقت مادة صمر بمادة شمر التي دلّت هي الأخرى على الانكماش، ومن ثمّ دلّت على التهيؤ للشر والتهيؤ للحق. يقال: «لِثَة مُتَشَمِّرة: لازقة بأسناخ الأسنان، وشاة شامرة: انضم ضَرْعها إلى بطنها»[٤٢].

ولا شك في أن كلاً من هاتين المادتين لها معانيها الخاصة التي تبتعد بها عن الأخرى. ولكن هذا المعنى قد جمع بينهما. فلا مانع يمنع من أن تكون المعاني التي تُباعد بينهما هي من أثر اختلاف المادتين أصالة. وأمّا التقاؤهما في

(٣٩) انظر Fürst II ٥١٣.

(٤٠) ابن منظور (اللسان: صمر) ٤/ ٤٦٧.

(٤١) ابن منظور (اللسان: صمر) ٤/ ٤٦٨.

(٤٢) ابن منظور (اللسان: شمر) ٤/ ٤٢٨.

هذا المعنى، فهو من أثر التبادل الصوتي بين الصاد والشين. وقد قابل هاتين المادتين في العبريّة مادة שמר وتعني שמר šāmar انكمش(٤٣).

سوخ– سيخ– زوخ– ثخخ– تخخ– ثيخ– زخخ– صيخ– سخخ– صوح– ضيح، ضحح، صيخ

دلّت مادة سوخ على الانخساف، وعلى الغوص في الأرض. فالأقدام تسوخ وتسيخ في الأرض (بالواو والياء): تغوص. وقيل: ثاخت الأرض وساخت بالثاء والسين، وتزَوَّخ في الطين أي: وقع فيه(٤٤) بالزّاي. والزاي والسين والثاء أصوات تتقارب، وقد تتبادل.

والأرض السُّواخ (من سوخ) أي كثر ماؤها أو مطرها فأصبحت طيناً. وقيل ثخّ الطين والعجين إذا كثر ماؤه (من ثخخ). وتبادلت الثاء مع التاء بالمعنى نفسه (من تخخ). وجاء في مادة ثيخ أن ثاخت رجله تثيخ مثل ساخت.

وعلى هذا قيل من المواد

تخخ: تخّ الطين: كثر ماؤه، وأصبح رخواً يُغاص فيه.

وتوخ: تاخت الإصبع: غاصت.

وثخخ: ثخّ الطين كثر ماؤه —كتخّ.

وثوخ: ثاخ الشيء ثَوْخاً: ساخ أو غاص.

وثيخ: ثاخت رجله تثيخ: مثل ساخت إذا غاصت.

وسخخ: سَخّ في الأرض وزَخّ غاص، وسخّت الجرادة: غرزت ذنبها في الأرض لتبيض.

---

(٤٣) انظر Fürst II ٤٧٣.

(٤٤) انظر ابن منظور (اللسان: سوخ) ٣/ ٢٧.

وسوخ: صاخت الصخرة: غاصت في الأرض.

وزخخ: غاص أو اندفع داخلاً، ومنه الجماع.

وصيخ: صاخ كساخ في الأرض غاص فيها.

وسيخ: ساخت الرجل تسيخ: غاصت، مثل ثاخت.

وصوح: الصواح من اللبن ما غلب عليه الماء.

وضيح: الضيح، والضِّياح: اللبن الخاثر يُصَبّ فيه الماء ثم يخلط.

ضحح: الضَّحْضاح: بقية الماء في الغدير أو نحوه.

سيح: وقد دلت على الماء المندفع، وعلى اندفاع الصخرة. وانساحَ البطن من السِّمَن: اتّسع ودنا. وقد أشير في هذه المادة إلى تبادل السين والحاء والصاد والخاء.

وشحح: أرض شَحاح: تسيل من أدنى المطر. وربما كانت هذه أضعف الحلقات في هذه السلسلة من المواد. وقد ورد في مقابل هذا المفهوم المشترك في العبريّة שׂוּחָה sūwwah من شوح، بمعنى غاص. وفي السريانيّة: شيح، ومنها sihā، وهي تدل على البئر[٤٥]، لغوره ومائه.

كأيّ (كأين) – وكائن – كاين – كاي – كئن – كي

هذه أشكال قرائية متعددة[٤٦]، قرئت بها الآية الكريمة ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها﴾[٤٧]. أما (كأين) فهي مكونة من كاف التشبيه

(٤٥) انظر Fürst II ٤١٩, Gesenuis.

(٤٦) انظر السمين الحلبي (الدر المصون) ٣/ ٤٢١. وانظر مكرم (معجم القراءات القرآنية) ٣/ ١٩٤.

(٤٧) سورة العنكبوت، الآية ٦٠.

و(أي) المجرورة، وقد ظهر التنوين عليها (كأيٍّ) وقد كتبت بالنون أيضاً (كأيّن) من أثر اندماج الكلمتين في كلمة واحدة على أساس ظاهرة (التركيب) وبذا فإن أياً من الكلمتين لم تخسر شيئاً من أصواتها.

وتتألف (كأي) صوتياً من المقاطع الآتية: ك/ أي/ ين. أي من مقطع قصير مفتوح + قصير مغلق مُنْتهٍ بشبه حركة + مقطع قصير مغلق يبدأ بشبه حركة. والعربية تتحاشى في بعض لهجاتها هذه المقاطع التي تتضمن شبه الحركة، في بعض المواطن، كما هي الحال في يقول Yaqūl وأصلها يقْوُل yaq/ wul، ويميل yamil وأصلها yam/ yil، ولذا فإن جميع القراءات باستثناء القراءة بكأين، قد تخففت من توالي مقطعين تضمّن كل منهما شبه حركة، كما هي الحال في كائن kā´in إذ (خلت من المقطعين كليهما، اللذين تضمنا شبه الحركة، وكاين kā/ yin (تخلصت من واحد منها) وكأيٍ (بحذف التنوين تكون قد تخلصت من واحد منهما) وكئن (تخلصت منهما معاً)، وكَيٍ ka/ yin (تخلصت من واحد منهما).

ولا شك في أن كلاً من (كاين) و(كَيٍ) قد حدث فيهما شيء من النحت باختفاء الهمزة تسهيلاً.

والتخلّص من المقطع المتضمن شبه حركة، ظاهرة تعرفها العربية في غير مكان، فمن ذلك القراءة بـ (تَوْجل) إذ تضمنت «تو» المقطع القصير المغلق بشبه الحركة (taw) والقراءة بـ «تُوجل» tūğal و«تاجل»[٤٨]، tāğal هي بالتخلص من شبه الحركة، ومن ذلك القراءات بـ «حوبًا، وحَوْبًا، وحابًا».

---

(٤٨) انظر السمين الحلبي (الدر المصون) ٧/ ١٦٤.

وكاف التشبيه في كأين وكائن لم تخفَ على بعض القدماء، قال المالقي: «وهي مركبة من كاف التشبيه المذكورة، وأي الاستفهامية، إلا أنهما جُعلتا لفظاً واحداً بمنزلة (كم) المذكورة»[٤٩]. ومما يؤكد ما ذهب إليه المالقي من أن (كأيّن) تعني ما تعنيه (كم) أن قوله تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة﴾[٥٠]، قد وردت فيها قراءة أخرى عن «أُبَيّ»[٥١]: «كأيّن من». وقد وردت كاف التشبيه في العربية وأخواتها كالعربية الجنوبية[٥٢].

وتركبت في هذه اللغات تركبها في العربية، فمن أمثلة تركبها مع (أنّ) في العربية الفصحى أن يقال (كأنّ) وقد تركبت مع النون في الآراميّة[٥٣]. Kn بمعنى (كأنّ) العربية. وقد تركبت الكاف مع (ما) في العربية فقيل (كما). وهي في الآرامية المسيحية כמא وفي العبرية[٥٤] כמו Kemō ووردت هذه الأداة للتشبيه في الأكادية[٥٥]، ki وتركبت مع الميم تَرَكّبها مع النون في العربية، فقيل kem، kimag، kamg[٥٦].

---

(٤٩) المالقي (رصف المباني) ٢٨١.

(٥٠) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٥١) انظر أبا حيان (تفسير البحر المحيط) ٢/ ٢٦٧.

(٥٢) انظر هوفنر (العربية الجنوبية) ص ١٤٦ Höfner.

(٥٣) انظر ٦٢ Dengen.

(٥٤) انظر ٣٥٠ Gesenius.

(٥٥) انظر ١٤٣ Riemschneider.

(٥٦) انظر ٤٧٠ Von Soden I.

وتركبت هذه الكاف في العربية مع (ذا) فقيل (كذا)، و(هكذا) ويقابلها في العبرية koh وفي الأكادية akia[٥٧].

لا – لن

يبدو أن الخليل كان مُحِقّاً حين عَدّ (لن) مكونة من (لا)، و(أن). قال سيبويه: «فأما الخليل فزعم أنها (لا أن)، ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم، كما قالوا: وَيْلُمِّه، وجُعلت بمنزلة حرف واحد»[٥٨]. ولما كانت (أن) تدل على المستقبل في نحو: أريد أن أفعل، فإن اقترانها باللام جعل منهما أداة متمَحّضة في الدلالة على نفي المستقبل. أما (لا) وحدها، فهي قد تنفي الحال، نحو: لا ينزل المطر (الآن)، إجابة عن سؤال من يسأل: أينزل المطر (الآن) وقد تدل على النفي المطلق، في نحو: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء﴾[٥٩]، ولا يستوي الخير والشر.

وثمة استعمال تستوي فيه (لن) مع (لا) في نحو: ﴿ألن يكفيكم أن يُمِدّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾[٦٠]، فقد ذكر أبو حيان[٦١] قراءة الآية عن «أُبَيّ» بـ: «ألا يكفيكم».

---

(٥٧) انظر عمايرة (بحوث في الاستشراق واللغة) ص ٥٣.

(٥٨) سيبويه (الكتاب) ٣/ ٥.

(٥٩) سورة النساء، الآية ١٤٨.

(٦٠) سورة آل عمران، الآية ١٢٤.

(٦١) انظر أبا حيان (تفسير البحر المحيط) ٣/ ٥٠.

ولا أعرف من شقيقات العربية[٦٢] لغة استحدثت هذه الأداة لتوظفها في الدلالة على الزمن الخاص بنفي المستقبل.

ل – وإلى

قرئ قوله تعالى: ﴿لِما أصابهم﴾[٦٣]، قراءة أخرى منسوبة إلى الشنبوذي[٦٤]، وهي: «إلى ما أصابهم» ومعلوم أن هاتين الأداتين تتعاوران في مواقع من استعمالهما. وعلى هذا تستطيع أن تقول: الأمر لي أو إلي بمعنى انتهاء غايته. وحتى مفهوم التعليل في قول القائل: جئت لأستقبل زيداً، فإن(ل) تفيد التعليل الذي هو الغاية التي من أجلها جئت. بيد أن مواطن التعليل التي يمكن أن تأتي فيها، (كي) أو (حتى) أصبحت خاصة باللام دون (إلى). وفي هذا ما يقف بنا على خصيصة في العربية، وهي الرغبة في التوظيف الدقيق لألفاظها، وعلى هذا فإن (إلى) غلبت عليها الدلالة على انتهاء الغاية، وغلب على اللام التعليل، ولم تُجِز العربية، انطلاقاً من مبدأ التخصيص والتوظيف، أن تستخدم (إلى) للتعليل، فلا يقال: جئت إلى أستقبل.

وإذا عدنا إلى أخوات العربية فإننا سنجد أن اللام قد تبادلت مع (إلى) كما هي الحال في العربية، وكان تبادلهما في معنى التعليل وانتهاء الغاية. وهكذا فإن ele أو Ƅχ él[٦٥] تعني: Ƅ (إلى) و(حتى)، وكذلك

---

(٦٢) انظر عمايرة (خصائص العربية) ص ٥١.

(٦٣) سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

(٦٤) انظر مكرم (معجم القراءات) ٢/ ٧٢.

(٦٥) انظر ٦٥٠ Fürst .

وهي اللام، تعني (إلى) و(حتى) في العبرية، وهي كذلك في الآرامية والسريانية. وفي الأكادية(٦٦) eli وتقابل (إلى) و la وتقابل ل.

سجر– سجل– سجن– سكر– سجهر– شرج

تشتت المعاني التي وردت في المعجم لهاتين المادتين كليهما: سجر، وسجل. فمن معاني سجر: ملأ، ثم تلون هذا المعنى، فقيل: البحر المسجور: المملوء ناراً. وقيل: سُجِّرت البحار: أفضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً. وفي هذا معنى الامتلاء والفيضان.

وقيل: سُجِّرت: فُجِّرت. وفي هذا أيضاً مفهوم الامتلاء والفيضان.

وسَجَّرتُ الماء: صببته.

والمسجور: الفارغ الذي ليس فيه شيء، ومنه المِسَجَّر: الذي غاض ماؤه.

وقيل: السجر في التنور الإيقاد. وتسجره بالوقود سجرا أي تملؤه، ومن هذا أطلق على الحَطَب اسم السَّجور، لأنه يُملأ به التَّنور، وعلى هذا يكون الإشباع بالوقود، أي الملء معنى آصَلَ من معنى الوقود نفسه، ثم اقترن السَّجر بالإحماء والإيقاد والحطب.

ومن معاني سجر: الشعر المُنْسَجر والمسجور: المسترسل والمرجّل. فهل جاء الشبه بين الشعر والماء من الارتخاء كموج الماء؟ ثم يتكرر السؤال نفسه بشأن دلالة سجر على اللؤلؤ المنظوم المسترسل. ومن ذلك الاسترسال: مَدّ الصوت حنيناً. فالناقة تَسْجُر سُجوراً وسَجْراً مدّت حنينها. وقد انتقل المعنى من صوت الإبل إلى صوت الرعد. وانتقل مفهوم النار والاشتعال إلى الحُمْرة

---

(٦٦) انظر Gesenius ٣٦, Von Soden I ٢٠٠.

التي تخالط لون العين، فقيل: عين سجراء أي خالطتها حُمْرة. وغدير أسْجَر: يضرب ماؤه إلى الحُمرة.

ومن المعاني التي يصعب ردّها إلى ما سلف أن الساجور من سجر تعني القيد، والسجير: الخليل والصفّي، والسَّجْوَرِي: الأحمق.

ويبدو أن الإدغام فُكّ من سجّر، فقيل: اسْجَهَرَّتِ النار، أي اتّقدت والتهبت، وسحابة مُسْجَهِرَّة: يترقرق فيها الماء. وهما معنيان مَرّا في سجر(٦٧).

وقد تبادلت الجيم والكاف، فسَكَرْتُ الإناء وسجرته إذا ملأته وبذا تكون مادة سجر قد اختلطت بمادة سكر.

وفي مادة سجل، دلّت سجل على الامتلاء بالماء. كما دلت على الدَّلْو المملوءة بالماء. وقد انتقلت الدلالة من الامتلاء بالماء إلى دلالة أخرى قريبة، فسَجَل القراءة أي قرأها قراءة متّصلة، من الاسترسال في القراءة، قال ابن منظور: «من السَّجل: الصَّبُّ، يقال: سَجَلتُ الماء سَجْلاً إذا صببته صبّاً متّصلاً»(٦٨). وقد جاء مفهوم المباراة، فقيل: ساجلَ الرجل إذا باراه، وقد لمح ابن منظور أن هذا المفهوم يعود إلى الاستقاء، فكأنما هي إشارة إلى الماء يتدفّق دلواً بعد دلو، وكذا المباراة والمفاخرة والحرب من كرٍّ وفرّ، يوم لك ويوم عليك. قال ابن بري فيما ذكره ابن منظور «أصل المساجلة أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سَجْله مثل ما يخرج الآخر، فأيهما نَكَل فقد غُلِب، فضرَبتْه العرب مَثَلاً للمفاخرة، فمعناه أنه يُخْرِج من الشَّرَف مثلَ ما يخرجه

(٦٧) انظر ابن منظور (اللسان: سجهر) ٤/ ٣٤٥.

(٦٨) ابن منظور (اللسان: سجل) ١١/ ٣٢٥.

الآخر، فأيهما نكل فقد غُلِب. وتساجلوا أي تفاخروا، ومنه قولهم: الحرب سِجال، وانسجل الماء انسجالاً إذا انصبّ»[٦٩].

وهكذا تكون انسجل بمعنى انصبّ وأسجل: ملأ. هذا هو المعنى الأصلي: انصباب الشيء إلى حدّ الامتلاء. وأما المعاني الأخرى فهي متطورة عن هذا المعنى، كالسَّجْل: الجواد، والغَنيّ. وأسجل الكلامَ: أرسله، وإسجال الأنعام: إرسالها ترعى.

وأما سِجّيل، بمعنى الحجارة من طين، فقد قيل إنها فارسيّة الأصل. وقد تبادلت اللام والنون، فقيل سِجِّين. وكذلك السِّجِلّ: كتاب العهد وجمعه سجلاّت، ويعني كذلك الصحيفة التي فيها الكتاب. وهذان المعنيان قد يكونان للفظين اتّفقا مع وزن من أوزان العربيّة شكلاً، ولكن المضمون يختلف.

بقي أن نشير إلى أن مفهوم الإرسال والانسياب والتدفق موجود في بعض اللغات الساميّة، وهو لهذه المادة في صورتها الرَائية، ففي العبريّة[٧٠] ש ג ר šāgar وفي الآراميّة[٧١] ש ג ר šegar، وفي السريانيّة šegar بمعنى سال الدمع أو انسكب الماء، وبمعنى انسكب، للشيء الساخن. وأمّا السبئية[٧٢]، فقد جاءت فيها شرج – وقد تكون مقلوب شجر – وهي بمعنى: الشَّرْج، ومجرى الماء، ومسيل الماء. وكلها معان يُرَدّ بعضها إلى بعض. وقد جاء

---

(٦٩) ابن منظور (اللسان: سجل) ١١/ ٣٢٦.

(٧٠) انظر Furst II ٤١١.

(٧١) انظر Costaz ٣٥٩, Gesenius ٨٠٨.

(٧٢) انظر Beeston ١٣٤.

في لسان العرب أن الشَّرْج تعني مسيل الماء من الحرار إلى السَهُولة[٧٣]. ولعل في هذا ما يرجّح الأصل الرائي للكلمة. ويوضّح المعنى الأصيل للانصباب والانسياب. والله أعلم.

المراجع

١- أبو حيان (البحر المحيط): محمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، دار الفكر، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢- ربحي كمال (المعجم الحديث): ربحي كمال: المعجم الحديث (عبري — عربي) بيروت ١٩٧٥.

٣- الزبيدي (التاج): السيد مرتضى الحسيني الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس.

٤- السمين الحلبي (الدر المصون): أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٥- سيبويه (الكتاب): عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٦- ١٩٦٨م.

٦- عمايرة (بحوث في الاستشراق واللغة): إسماعيل أحمد عمايرة: بحوث في الاستشراق واللغة، دار البشير — مؤسسة الرسالة، عمان ١٩٩٦.

٧- عمايرة (تطبيقات في المناهج اللغوية): إسماعيل أحمد عمايرة: تطبيقات في المناهج اللغوية، دار وائل للنشر، عمان، سنة ٢٠٠٠.

٨- المالقي (رصف المباني): أحمد بن عبد النور المالقي: رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، دمشق ١٤٠٥ (الطبعة الثانية).

٩- مكرم (معجم القراءات القرآنية): عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر: معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٠- ابن منظور (اللسان): ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت.

---

(٧٣) انظر ابن منظور (اللسان: شرج) ٢/ ٣٠٦.

١١– ابن هشام (المغني): ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد

References.

- Beeston / Ghul / Müller / Ryckmanns: Sabaic Dictionary (English – French – Arabic) Beyrouth ١٩٨٢.

- Costaz, L.: Dictionnaire Syriaque – Française, Syriac- English – Arabic Dictionary.

- Degen, R. Altaramäische Grammatik. Wiesbaden ١٩٦٩.

- Fürst, J.: Hebräisches und Chaldäisches Handwörterbuch über das Alte Testament. Leipzig ١٨٦٣.

- Gesenius, W.: Hebräisches und Aramäisches Handwörterbuch über das Alte Testment. ١٧. Aufl. Germany ١٩٦٢.

- Höfner, Maria: Altsüdarabische Grammatik. Leipzig ١٩٤٣.

- Leslau, W.: Comparative Dictionary of Ge'ez (Classical Ethiopic) Ge'ez – English / English - Ge'ez. Wiesbaden ١٩٨٧.

- Riemschneider, Kaspar: Lehrbuch des Akkadischen. Leipzig ١٩٧٣.

- Von Soden, Wolfram: Akkadisches Handwörterbuch. Band I – III, Wiesbaden ١٩٦٥ – ١٩٧٢.